

كان يا ما كان
حورية البحر
الصّغيرة
CHIHAB Kids

كان يا ما كان...

حُورِيَّةُ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةُ



مقتبسة من حكايات هانس كريستيان أندرسن

رسوم : منصور عموري



عَاشَتْ حُورِيَّةُ بَحْرٍ صَّغِيرَةٌ حَياةً مِلْؤُهَا السَّعَادَةُ وَ الْهَنَاءُ، رُفْقَةَ أَبِيهَا وَ أُمِّهَا وَ أَخَوَاتِهَا الْأَرْبَعِ، فِي مَمْلَكَتِهَا الْغَائِصَةِ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، إِلَى أَنْ بَلَغَتِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ.

وَ فِي يَوْمِ عِيدِ مِيلَادِهَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « يُمْكِنُكِ الآنَ الصُّعُودُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ لِتَكْتَشِفِي الْعَالَمَ هُنَاكَ. وَ لَكِنْ كُونِي حَذِرَةً يَا ابْنَتِي، وَ لَا تَقْتَرِبِي أَبَدًا مِنَ الإِنْسَانِ ».

فَرِحَتْ حُورِيَّةُ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةُ وَ شَكَرَتْ أُمَّهَا وَ سَبَحَتْ عَالِيًا بِاتِّجَاهِ السَّطْحِ.



وَ بِمُجَرَّدِ مَا أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا وَ شَعْرَهَا الْأَصْفَرَ الذَّهَبِيَّ مِنَ الْمَاءِ، حَتَّى رَأَتْ سَفِينَةً جَمِيلَةً مَنْشُورَةَ الشِّرَاعِ، تَشُقُّ طَرِيقَهَا بَيْنَ الْأَمْوَاجِ الزَّرْقَاءِ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا قَلِيلاً.

سَمِعَتْ حِينَئِذٍ صَيْحَاتِ فَرَحٍ وَ مُوسِيقَى ؛ إِذْ كَانَتْ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ حَفْلَةٌ نُظِّمَتْ عَلَى شَرَفِ أَمِيرٍ شَابٍّ، فَبَقِيَتْ حُورِيَّةُ الْبَحْرِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِإِعْجَابٍ.. وَ فَجْأَةً هَبَّتْ عَاصِفَةٌ بَحْرِيَّةٌ هَوْجَاءُ.

أَخَذَتِ السَّفِينَةُ الْكَبِيرَةُ تَتَأَرْجَحُ بَيْنَ الْأَمْوَاجِ وَ كَأَنَّهَا قِشْرَةُ جَوْزٍ صَغِيرَةٍ. عَلَى إِثْرِ هَذَا التَّرَنُّحِ الْعَنِيفِ، سَقَطَ الشَّابُّ فِي الْبَحْرِ فَاقِدًا وَعْيَهُ. لَمْ تَأْخُذْ حُورِيَةُ الْبَحْرِ بِنَصِيحَةِ أُمِّهَا، وَ طَاوَعَتْ قَلْبَهَا وَ مَشَاعِرَهَا، فَقَفَزَتْ وَ غَاصَتْ لِإِنْقَاذِهِ.



رَغْمَ الْأَمْوَاجِ الْقَوِيَّةِ وَ ثِقَلِ جِسْمِ الْأَمِيرِ، اسْتَطَاعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ أَنْ تَصِلَ بِهِ إِلَى الْيَابِسَةِ. فَوَضَعَتْهُ عَلَى الرِّمَالِ النَّاعِمَةِ لِشَاطِئٍ مَهْجُورٍ، وَ غَنَّتْ لَهُ أُغْنِيَةَ عَرَائِسِ الْبَحْرِ الْعَذْبَةَ لِيَفِيقَ.



قَفَزَتْ حُورِيَّةُ الْبَحْرِ عِنْدَ سَمَاعِ أَصْوَاتِ أُنَاسٍ تَقْتَرِبُ. وَ كَانَ عَلَيْهَا الْعَوْدَةُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ حَتَّى لَا يُكْتَشَفَ أَمْرُهَا. وَ لِسُوءِ الْحَظِّ لَمْ يَتَمَكَّنِ الْأَمِيرُ مِنْ رُؤْيَتِهَا. وَ بَعْدَ عَوْدَتِهَا إِلَى الْأَعْمَاقِ انْتَابَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ، وَ فَقَدَتْ طَعْمَ الْحَيَاةِ.

فَلَا الْأَلْعَابُ وَ لَا الْأَغَانِي الْقَدِيمَةُ أَصْبَحَتْ كَفِيلَةً بِالتَّرْفِيهِ عَنْهَا ؛ إِذْ فَقَدَتِ الْأَمَلَ فِي رُؤْيَةِ الْأَمِيرِ الْوَسِيمِ يَوْمًا. وَ أَصْبَحَتْ لَا تُفَكِّرُ إِلَّا فِي طَرِيقَةِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.



قَرَّرَتْ إِذًا أَنْ تَطْلُبَ مِنْ سَاحِرَةِ الْبِحَارِ، عَدُوَّةِ أَبِيهَا اللَّدُودَةِ، أَنْ تَجْعَلَ لَهَا سَاقَيْنِ.
فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ : « نَعَمْ، أُوَافِقُ، وَ لَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تُعْطِينِي صَوْتَكِ فِي الْمُقَابِلِ ».
فَوَافَقَتْ حُورِيَّةُ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةُ وَ قَلْبُهَا يَنْفَطِرُ حُزْنًا.

قَدَّمَتْ لَهَا السَّاحِرَةُ شَرَابًا سِحْرِيًّا، فَذَهَبَتْ إِلَى الشَّاطِئِ حَيْثُ تَرَكَتِ الْأَمِيرَ، وَ شَرِبَتِ الشَّرَابَ فَأَفْقَدَهَا صَوْتَهَا وَ وَهَبَهَا سَاقَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ. وَ فَجْأَةً ظَهَرَ الْأَمِيرُ وَ سَأَلَهَا : « مَنْ أَنْتِ ؟ وَ كَيْفَ وَصَلْتِ إِلَى هُنَا؟ » وَ عِنْدَمَا لَمْ تُجِبْهُ أَضَافَ قَائِلًا : « سَآخُذُكِ إِلَى قَصْرِ أَبِي الْمَلِكِ وَ سَنُعَالِجُكِ هُنَاكَ ».

حَصَلَتْ حُورِيَّةُ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةُ عَلَى مَا كَانَتْ تُرِيدُ، وَ هُوَ أَنْ تَكُونَ رُفْقَةَ الْأَمِيرِ. وَ أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، أَنَّهَا هِيَ الَّتِي أَنْقَذَتْهُ مِنَ الْغَرَقِ وَ غَنَّتْ لَهُ.. وَ لِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ، كَانَ هَذَا مُسْتَحِيلاً ؛ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ. وَ شَيْئًا فَشَيْئًا نَسِيَ الْأَمِيرُ هَذِهِ الْحَسْنَاءَ الْمَجْهُولَةَ، وَ تَزَوَّجَ مِنْ فَتَاةٍ رَائِعَةٍ.



اِنْتَابَ حُورِيَّةَ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةَ فُضُولٌ كَبِيرٌ لِرُؤْيَةِ جَمَالِهَا، وَ تَمَنَّتْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « لَمْ أَرَ أَبَدًا وَجْهًا أَجْمَلَ مِنْ هَذَا، وَ لَا بَشَرَةً أَكْثَرَ بَيَاضًا، وَ لَا عُيُونًا أَكْثَرَ اتِّسَاعًا وَ سَوَادًا » ثُمَّ ابْتَعَدَتْ حِينَ رَكِبَ الزَّوْجَانِ سَفِينَةً كَبِيرَةً بَيْضَاءَ.

كَانَتْ حُورِيَّةُ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةُ تَتَجَوَّلُ غَالِبًا فِي الشَّاطِئِ، أَمَلًا فِي رُؤْيَةِ أَخَوَاتِهَا. وَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَجَدَتْهُنَّ وَ شَرَحَتْ لَهُنَّ قِصَّتَهَا الْحَزِينَةَ بِالإِشَارَاتِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : « سَنَذْهَبُ لِمُقَابَلَةِ السَّاحِرَةِ، وَ سَنُهْدِيهَا شَعْرَنَا مُقَابِلَ شَرَابٍ آخَرَ يُرْجِعُ لَكِ صَوْتَكِ »، وَ قَالَتْ أُخْرَى : « سَتَعُودِينَ حُورِيَّةً مِنْ جَدِيدٍ ».

عِنْدَمَا اقْتَرَبَ اللَّيْلُ خَرَجَتْ أَخَوَاتُ الْحُورِيَّةِ مِنَ البَحْرِ. لَمْ يَكُنْ شَعْرُهُنَّ الطَّوِيلُ يَسْبَحُ مَعَ الرِّيحِ، فَقَدْ تَمَّ قَصُّهُ. « لَقَدْ أَعْطَيْنَاهُ لِلسَّاحِرَةِ حَتَّى تُسَاعِدَكِ، سَتُحَرِّرُكِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَ سَتَعُودِينَ حُورِيَّةً ».

وَ هَذَا مَا حَصَلَ، فَقَدْ جَاءَتِ الْأَخَوَاتُ الْأَرْبَعُ لِمُصَاحَبَةِ أُخْتِهِنَّ، وَ عَادَتِ الْحُورِيَّةُ الصَّغِيرَةُ إِلَى أَعْمَاقِ البِحَارِ، لِتَعِيشَ هُنَاكَ فِي سِلْمٍ بَيْنَ أَهْلِهَا.

